أو بعبارة أخرى - بين التراث والمعاصرة ، وهو فى أبيات له يذكر خمسة من العمالقة الكبار فى العصر العباسى الذى شهد أكبر حركات التجديد فى الشعر العربى ، ويسجل تأثره بهم وسيره على آثارهم : أبا نواس ومسلم بن الوليد وأبا تمام والبحترى والمتبى :

مضَىَ حَسَن في حَلْبة الشعر سابقا ... وأدرك لم يُسْبق ولم يأل مُسْلمُ
وباراهما الطائيُ فاعترفتْ له ... شهودُ المعاني بالتى هي أحكم
وأبدع في القول « الوليد » فشعرُه ... علي ما تراه العينُ وشْي مُنَمْنم
وأدرك فى الأمثل «أحمد» غاية ... تَبذُ الخُطي ما بعدها متقدَّم
وسرتُ علي آثارهم ، ولربما ... سبقتُ إلى أشياء والله أعلمُ

عاد البارودى هذه العودة البعيدة إلى منابع الشعر العربى الأصيلة يستمد منها الصورة الأصيلة للقصيدة العربية : اللغة والأسلوب والألوان الموسيقا العروضية ، ولكن ظلت وراء هذا كله شخصيته التى نراها دائما تفرض نفسها ، وتؤكد وجودها ، ولا تختفى أو تتوارى وراء الصور التراثية التى تنتشر فى شعره ، ومن هنا كان شعر البارودى يحق صورة من حياته ونفسه وعصره ومجتمعه ، أو بعبارة أخرى من حياته العامة أو الخاصة ، وهو يؤكد هذه الشخصية ،ويراها علامة واضحة ، وسمة مميزة فى شعره : فيقول :

فانظر لقولى تجد نَفْسِي مصورَة ... فى صفحتيه، فقولى خطُ تمثالى

ويطول بنا الطريق لو مضينا نتابع البارودى فى معارضاته ، فهى كثيرة ومنشرة فى ديوانه بصورة تجعلها ظاهرة ستميزة لشعر البارودى ، ولكن بشرط أن تتحول بكلمة « المعارضة » بعيدا عن محدودية المصطلح إلى كلمة «المحاكاة » أو «التقليد» أونحوهما ، وفى أغلب الظن أن عبارات قال يروض الشعر، أو قال يروض القول « أو » قال على طريقة العرب ، التى تتردد بصورة واسعة فى ديوانه تشير إلى هذه المعارضات ، ومن هنا تتراءى طائفة من هذه